دار القاسم

فضل الصدقة

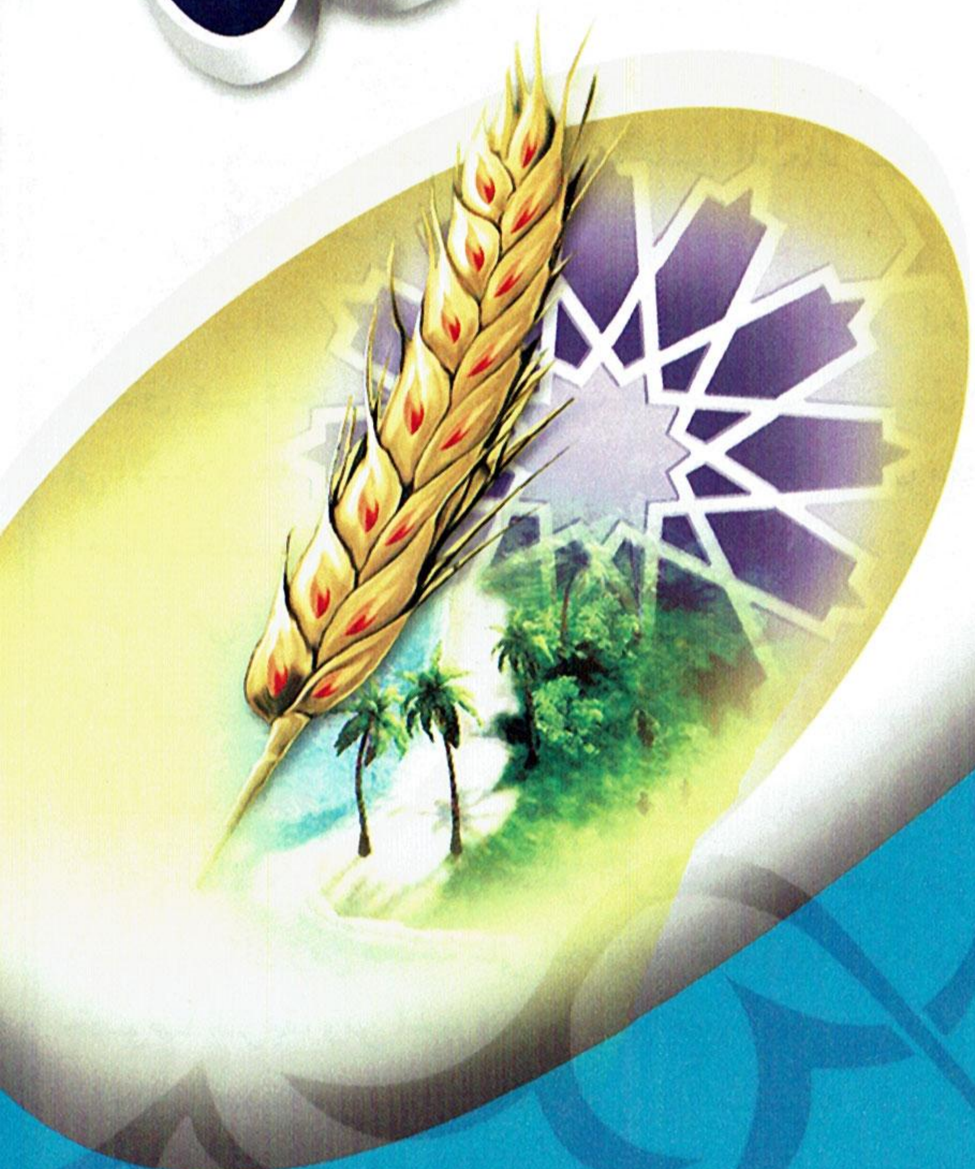

الرياض: ١١٤٤٢ ص.ب: ٦٣٧٣ ت: ٤٠٩٢٠٠٠ ف: ٤٠٣٣١٥٠
فروعنا - جدة ت: ٦٠٢٠٠٠٠ بريدة ت: ٣٢٦٢٨٨٨ الدمام ت: ٨٤٣١٠٠٠
www.dar-alqassem.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم المتفضل بالعطايا والإحسان، عمت نعمته كل حي، ووسعت رحمته كل شيء، والصلاة والسلام على أجود الناس وأبرهم، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد فتح الله - عز وجل - علينا أبواب جوده وكرمه، فدرَّ الضرع، وكثر الزرع، وأخرجت الأرض كنوزها، ففاضت الأموال بأيدي الناس، وأصبحوا في رغد من العيش، وبحبوحة من الرزق.

وهذه الأموال والخيرات التي بأيدينا هي عطية من الله - عز وجل - لينظر من أين تجمع، وأين توضع، وفيم تنفق؟

ولقد وصف الله - عز وجل - عباده المتقين بعدة صفات، منها أن في أموالهم حقاً للسائل والمحروم فقال تعالى: ﴿ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩) ﴾ [الذاريات].

وقد وعد الله - عز وجل - وهو الجواد الكريم الذي لا يخلف الميعاد بالخَلَف لمن أنفق فقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ [سبأ: ٣٩].

وأجزل العطية للمنفقين بأعظم مما أنفقوا أضعافاً كثيرة في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥] والآيات في الحث على الإنفاق كثيرة جداً، وهي من أبواب الخير العظيمة، وبذل الأموال في الإسلام يعد جهاداً في سبيل الله، بل إن الجهاد بالمال مقدم على الجهاد بالنفس في جميع الآيات التي ورد ذكر الجهاد فيها عدا آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾ [التوبة: ١١١].

قال العلماء: والصدقة من أفضل القربات، وهي أفضل من الجهاد، لاسيَّما إذا كان زمنَ مجاعة على المحاويج، خصوصاً صاحب العائلة، خصوصاً القرابة، ومن الحج لأنه متعدٍّ، والحج قاصر.

وفي الصدقة من أحاديث المصطفى ﷺ ما تقرُّ به النفوس، وتهنأ به الصدور، ويستحثُّ بها المسلمُ الخطى إلى جنة عرضها السموات والأرض في طريقٍ آمنة مطمئنة، فعنه ﷺ أنه قال: «اتَّقوا النار ولو

بشقِّ تمرة» [رواه البخاري].

وقال عليه الصلاة والسلام: «الصَّوم جُنَّة، والصَّدقة تُطفئ الخطيئةَ كما يطفيءُ الماء النار» [رواه أحمد والترمذي].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «سبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه» وذكر منهم: «رجلاً تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» [رواه البخاري].

وقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى في الإنفاق حتى أتته النفوس طائعة والقلوب ملبية، قال أنس ـ رضي الله عنه ـ: «ما سُئل رسولُ الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل، فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم! أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة..» [رواه مسلم].

وللممسكين والمقترين نذكرهم بحديث الصادق الذي لا ينطق عن الهوى حيث قال: «ما نقصت صدقة من مال» [رواه مسلم].

وعنه ﷺ: «قال الله تعالى: أنفقْ يا ابنَ آدم ينفقْ الله عليك» [متفق عليه].

ولقد رسم لنا الصحابة في صدر الإسلام الأول صوراً ناصعة من صور التنافس على الخير، والمسابقة إلى الخيرات، فعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك مالاً عندي فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً. قال: فجئت بنصف مالي، قال، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما أبقيتَ لأهلك؟» قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً [رواه أبو داود، والترمذي].

وهذا أبو طلحة ـ رضي الله عنه ـ وكان أكثر أنصار المدينة مالاً، وكان أحبُّ ماله إليه بيرحاء، وهي بستان طيبة الماء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قال أبو طلحة: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، اللهم إنَّ أحب أموالي إليَّ بيرحاء وإنها صدقة لله، أرجو برها، وأدَّخرها عند الله،

فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبي ﷺ: «بَخٍ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعتُ ما قلتَ، وإنِّي أرى أن تجعَلَها في الأقربين» فقال أبو طلحة: أفعلُ يا رسول الله، قال: فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. [أخرجه البخاري].

واليومَ البعض لا ينفق، وإذا أنفق فهو من رديء ماله، ومطعمه وملبسه!!

قال **ابن القيم** ـ رحمه الله ـ: وقد دلَّ النقلُ والعقل والفطرة وتجاربُ الأمم ـ على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها ـ على أن التقرب إلى الله رب العالمين وطلب مرضاته والبر والإحسان إلى خلقه من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استُجلبت نعم الله تعالى ـ واستدفعت نقمه بمثل طاعته، والتقرب إليه، والإحسان إلى خلقه.

وقال يحيى بن معاذ: ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة.

أخي المسلم:

في الصدقة قلَّت أو كثرت، عشر خصال محمودة، خمسة في الدنيا، وخمسة في الآخرة:

أما التي في الدنيا:

فأولها: تطهير المال.

وثانيها: تطهير البدن كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

والثالث: أن فيها دفع البلاء والأمراض، كما قال عليه الصلاة والسلام: «داووا مرضاكم بالصدقة» [رواه البيهقي].

ورابعها: أن فيها إدخالَ السرور على المساكين، وتفريجَ كربهم، وهذا من أفضل الأعمال.

والخامس: أن فيها بركةً في المال، وسعةً في الرزق، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩].

أما الخمسة التي في الآخرة:

فأولها: أن الصدقةَ تكون ظلاً لصاحبها من شدة الحر.

وثانيها: أنَّ فيها خفةَ الحساب.

والثالثة: أنها تُثقل الميزان.

والرابعة: جواز على الصراط.

والخامس: زيادة الدرجات في الجنة.

ولو لم يكن في الصدقة فضيلة سوى دعاء المساكين، لكان الواجب على العاقل أن يرغب فيها، فكيف وفيها رضا الله تعالى، ورغم الشيطان، وفيها الاقتداء بالصالحين، لأن الصالحين كانت همتهم الصدقة.

وأثر الصدقة واضح على النفس، وفي بركة الأموال والأولاد، ودفع البلاء وجلب الرخاء، كما أن المتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح بها صدره.

قال **ابن القيم**: «فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في دفع البلاء، ولو كانت من فاجر أو ظالم بل من كافر، فإن الله يدفع بها أنواعاً من البلاء، وهذا أمرٌ معلوم عند الناس خاصَّتِهم وعامَّتهم، وأهلُ الأرض كلهم مقرُّون به لأنهم جرَّبوه».

أخي المسلم:

أموالك التي أنت تمسكها ولا تنفقها، مصيرها كما قال الرسول ﷺ: **«يقول العبد مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهبٌ وتاركه للناس»** [رواه مسلم].

واحرص على أن تنظر في أمر قرابتك وذوي رحمك، فإنَّ الأجر مضاعف، قال ﷺ: **«الصدقةُ على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة، وصلة»** [رواه أحمد].

فكثير ممن حولَك تتراكمُ عليهم الديون، وآخرون يُفجعهم نهايةُ العام لقرب موعد دفع الإيجار، وأسر متعفِّفة لا يَعلم بحالها إلا الله لا تستطيع توفير متطلبات المدارس! وهناك أرامل وأيتام وشيخ وعجوز!.

ولا يُظنُّ أن الصدقة تكون ممن يملك الكثير فحسب، بل كلٌّ بحسبه، وله من الأجر ما لا يعلمه إلا الله ـ عز وجل ـ فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«سبقَ درهمٌ مائةَ ألف درهم»** فقال رجل: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: **«رجل له مالٌ كثير أخذ من عَرضه مائة ألف درهم تصدَّق بها، ورجل ليس له إلا درهمان فأخذ أحدهما فتصدَّق بها»** [روه النسائي].

فأطلقْ يدَكَ وتَيقّن بوعد الله ـ عز وجل ـ بالخير والأجر والمثوبة، ولا يخوِّفنك الشيطان ويُزيِّن لك البخل والشح، فإن هذا ديدن الشيطان وطريقته: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾[البقرة: ٢٦٨].

أخي المنفق:

أنفِقْ ولا تخشَ إقلالاً فَقَد قُسِمَت
على العباد من الرَّحمن أرزاقُ
لا ينفعُ البخلُ مع دنيا مولِّيَة
ولا يضُرُّ مع الإقبال إنفاقُ

وأبشر أيها المنفق ببشارة من فوق سبع سماوات: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) ﴾ [البقرة] ولا تكن ممن قال الله فيهم: ﴿ هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم (٣٨) ﴾ [محمد].

واحذر أن تكون ممن هم أشدُّ من أولئك: ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (٣٧) ﴾ [النساء].

بل سارع وقدِّم لنفسك قبل الرحيل: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

جعلني الله وإياك ووالدينا من الحامدين الشاكرين، المنفقين في السراء والضراء، ممن ينادون يوم القيامة: ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) ﴾ [الزخرف].

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[من كتاب ٤٠ درساً لمن أدرك رمضان]

دار القاسم تقدم برنامج القراءة بالمراسلة: يصلك شهرياً ٤ كتيبات + ٤ كتيبات جيب + ٤ مطويات باشتراك سنوي ١٧٥ ريال فقط

حقوق الطبع والنشر محفوظة

1001860